ما وراء اتفاق أربيل وبغداد حول تصدير نفط إقليم كوردستان

04-04-2023

الكُتاب

زريان روجهلاتي

ملخص : منذ أكثر من عقد، ولم تتوصل الآليات الداخلية لحل قضية الطاقة بين إقليم كوردستان وبغداد إلى نتيجة، سواء كانت قوانين وأحكام قضائية، أو اتفاقيات سياسية بين الطرفين. لذلك، لا يُعد من المستغرب أن تلعب العوامل الخارجية دورًا رئيسيًا في فتح وقف النفط. ومع ذلك، فإن الوضع الداخلي في العراق وإقليم كوردستان لا يسمح للأطراف للإصرار فقط على آرائهم الخاصة، وهذا هو الأساس لتسوية محتملة بين الجانبين.

منذ أكثر من عقد، ولم تتوصل الآليات الداخلية لحل قضية الطاقة بين إقليم كوردستان وبغداد إلى نتيجة، سواء كانت قوانين وأحكام قضائية، أو اتفاقيات سياسية بين الطرفين. لذلك، لا يُعد من المستغرب أن تلعب العوامل الخارجية دورًا رئيسيًا في فتح وقف النفط. ومع ذلك، فإن الوضع الداخلي في العراق وإقليم كوردستان لا يسمح للأطراف للإصرار فقط على آرائهم الخاصة، وهذا هو الأساس لتسوية محتملة بين الجانبين.

نفط كوردستان ومصالح الدول

قبل إعلان قرار المحكمة، استضاف قصر الإليزيه مسؤولين من بغداد وأربيل، بمن فيهم رئيسا وزراء العراق وإقليم كوردستان. كان من عدم مناقشة قضايا الطاقة وقرار المحكمة في هذا الاجتماع. اثنان على الأقل من مشتري نفط كوردستان هم اوربين وهذا بالتزامن مع انشغال أوروبا في الحرب في أوكرانيا. وتتطلع بعض الدول، خاصةً فرنسا، للاستثمار بمليارات الدولارات في العراق، فإن استقرار العلاقات بين بغداد وأربيل قضية كبيرة من الممكن أن تكون ذات أهمية لأوروبا.

لا يزال العالم بحاجة إلى النفط، والولايات المتحدة، بصفتها أكبر قوة في العالم، تدعو علنًا لتصدير النفط من إقليم كوردستان. وهذا بالإضافة إلى تقارير صحفية أفادت بأن مسؤولي البيت الأبيض أجروا محادثة هاتفية مع الطرفين لحل المشكلة. في الواقع، بصرف النظر عن الطاقة، هناك بُعد جيوسياسي وأمني آخر لهذه القضية بالنسبة للولايات المتحدة. يتزامن تعليق صادرات النفط من إقليم كوردستان مع تصاعد التوترات بين طهران وواشنطن في سوريا، حيث تم استهداف قواعد على الجانبين عدة مرات في أقل من أسبوعين. وأكد وزير الدفاع الأمريكي أن إيران وداعميها هاجموا المصالح الأمريكية في العراق وسوريا 83 مرة خلال العامين الماضيين. في غضون ذلك، قال رئيس الأركان الأمريكية الجنرال مارك ميلي إنهم لن يتخلوا عن مهمتهم في سوريا على الرغم من الهجمات. وبطبيعة الحال، فإن إقليم كوردستان هو بوابة خلفية لوجستية وقيادية مهمة للعمليات الأمريكية في سوريا والغرب. لذلك، فإن تدهور ميزان القوى بين إقليم كوردستان وبغداد، على الأقل في هذا الوقت، ليس في مصلحة الولايات المتحدة.

بعد التوترات التي اندلعت الأسبوع الماضي في سوريا، أعلنت الولايات المتحدة أنها ستمدد مهمة سفينة حربية بالقرب من المياه اليونانية للاستعداد لأي طارئ في الشرق الأوسط. من الصعب تحويل التوترات السورية إلى حرب كبرى، لكن المهم هو كيفية فهم الولايات المتحدة لميزان القوى في المنطقة. شدد الجنرال مارك ميلي على أن زيادة الشراكات الروسية والصينية والإيرانية ستسبب مشاكل في السنوات المقبلة. هنا تكمن أهمية الدول والأقاليم المتحالفة، بما في ذلك إقليم كوردستان، للولايات المتحدة. في السنوات الأخيرة، واجهت واشنطن مشاكلًا مع حلفائها مثل تركيا وإسرائيل والمملكة العربية السعودية وإقليم كوردستان بشأن قضايا حقوق الإنسان والديمقراطية، لكنها أصبحت في النهاية أكثر جيوسياسية. يبدو أن الولايات المتحدة لم تكن تريد أن يتسبب تحطم المروحية في شامانكي في إقليم كوردستان في إحداث ضجة كبيرة. ربما لم تعجب واشنطن رد فعل أربيل على تقرير وزارة الخارجية لهذا العام حول تدهور حقوق الإنسان في العراق وإقليم كوردستان، وإعادة نشر مقال عن حكومة إقليم كوردستان من قبل القنصل الأمريكي.

نقطة أخرى تتعلق بالصراع الأمريكي الرئيسي مع الصين وروسيا. أعلن فلاديمير بوتين عن مسودة وثيقة سياسية مناهضة للغرب، ويبدو أنه مصمم على تطوير العلاقات مع خصوم الولايات المتحدة. يركز وزير الخارجية الروسي الآن على الشرق الأوسط، ومن غير المرجح أن يثني على سياسات الولايات المتحدة في المنطقة في نقاشه المتوقع في مجلس الأمن.

هذا العام، زار وزير الدفاع الأمريكي والعديد من المسؤولين الأمريكيين والغربيين أربيل ومؤتمر ميونخ الأمني. كانت حركة الاتصالات بين رئيس إقليم كوردستان والمسؤولين الغربيين مثيرة للاهتمام. لكن المثير للاهتمام هو أن لافروف جاء إلى العراق في شباط من هذا العام دون زيارة أربيل. وفقًا لدبلوماسي روسي، من المتوقع أن يكون هذا الحال بالنسبة لزيارة المبعوث الخاص للرئيس الروسي فلاديمير بوتين لشؤون الشرق الأوسط وأفريقيا، ميخائيل بوغدانوف، ما لم يكن هناك تغيير آخر.

بعد استفتاء عام 2017، عندما قال الرئيس التركي، "سنوقف حنفية النفط"، اتصل ألكسندر دوجين الذي كان قد زار مركز دراسات روورداو روورداو سابقًا لحضور ندوة، وقال إنهم قد يكونون متأكدين من أن الكرملين لن يوافق على هذا الشئ. على الرغم من وجهة نظر الكرملين الافتراضية لأربيل باعتبارها أكثر موالية لأمريكا ، لا يبدو أنها تستفيد من توقيف تصدير النفط لأن شركاتهم ستخسر ايضا.

وبالحديث عن الصين، فإن الاتفاق الإيراني السعودي، بالطبع، أظهر وجود بكين في موازين القوى في الشرق الأوسط. التقارب بين طهران والرياض كان حلم الرئيس أوباما. أراد إقامة مصالحة باردة بين إيران والسعودية لكنه لم يستطع. الصين، أحد أكبر مشتري النفط في المملكة العربية السعودية بنسبة 14%، والتي أبرمت أيضًا اتفاقًا مدته 25 عامًا مع طهران، استطاعت بالنهاية أن تجعل البلدين يصلون إلى اتفاق. قد يكون هذا مفيدًا للولايات المتحدة في بعض المجالات، كالحرب في اليمن، لكن هناك جانبًا آخر لها يتعلق بموقع القوة

ويصعب إفادة واشنطن. يمكننا القول إن الاتفاق بين أربيل وبغداد على مشروع قانون الموازنة، والذي كان أيضًا اتفاقية في مجال الطاقة، إنه مدعوم أمريكياً. وبينما تمكنت الصين من التوفيق بين إيران والسعودية، فإن تدهور العلاقات بين أربيل وبغداد بشأن النفط، الذي عملت الولايات المتحدة من أجله منذ فترة طويلة، قد يكون خبرًا سيئًا لواشنطن

بالنسبة لتركيا، فإن القضية تتعلق بالسياسة الدولية بقدر ما هي قضية محلية. بالطبع، جعلت القوى الجغرافية من المستحيل على إقليم كوردستان تصدير النفط بدون تركيا. لكن ما الذي تغير عندما قررت أنقرة عدم إرسال النفط دون إذن بغداد؟ المعلقون الذين يعتقدون أن تركيا غيرت سياستها المتعلقة بالطاقة في إقليم كوردستان لمصالح استراتيجية أخرى، مثل مشروع القناة البرية التي تربط الخليج وتركيا، قد لا يفسرون الحادث برمته، لأنه كان هناك حديث عن هذا المشروع وحتى عن فتح بوابة أوفاكيو من قبل. لكن تركيا ما زالت تصدر نفط إقليم كوردستان. ثانيًا، المشروع ليس قريبًا بدرجة كافية ليتم تنفيذه.

قبل كل شيء، كان من الصعب على أردوغان الإصرار على قضية النفط في إقليم كوردستان وهو يقترب من انتخابات حاسمة. وهذا ما يعطي للجماعات المتنافسة أداة قوية. نقطة أخرى هي أن حزب العدالة والتنمية يبدو أنه لديه أملًا أقل في الفوز بالأصوات الكوردية هذه المرة. لذلك، فإن خلق مشكلة مع العراق حول "الكورد" في الوقت الذي يعمل فيه خصومه على الخطاب القومي واليساري والمحافظ لم يكن خيارًا لسياسي براغماتي مثل أردوغان. على الرغم من أن لعبة التحالفات والهندسة الانتخابية لم تنتهِ بعد، إلا أن حزب العمال الكوردستاني وعبدالله أوجلان لم يصرحا بعد ببيانهما النهائي. ولكن يبدو أن HDP-YSP يريدان بالفعل منع تسوية افتراضية مع أردوغان.

الدوافع المحلية للتسوية بين أربيل وبغداد

لا يمكن لإقليم كوردستان وبغداد الإصرار على مواقفهما لفترة طويلة، وذلك بسبب الانقسامات الكوردية الداخلية، وخاصة العلاقات المعقدة بين الاتحاد الوطني الكوردستاني والحزب الديمقراطي الكوردستاني، والعبء الاقتصادي الناجم عن تعليق تصدير النفط، الذي قد يؤدي إلى احتجاجات داخلية. يمكن لتعليق النفط عشية الانتخابات البرلمانية المتوقعة في وقت لاحق من هذا العام أن يغير قواعد اللعبة ويؤثر على توازن القوى الداخلية في إقليم كوردستان.

بعد قرار المحكمة الجنائية الدولية، أُتيحت الفرصة لرئيس الوزراء العراقي لإرضاء بعض الأحزاب الشيعية، من خلال محاولة العمل من أجل مطالبهم بالسيطرة على طاقة إقليم كوردستان دون إيذائها. وبينما اتبع المالكي، وبعد ذلك العبادي، وعادل عبد المهدي، وحتى مصطفى الكاظمي، نفس المسار، لم يستطع السوداني الانحراف أيضًا واستمر في نفس الطريق. وبينما كان هناك اتجاه قوي لاتفاق بين أربيل وبغداد، من خلال قانون الميزانية والنفط والغاز، أظهر تعليق نفط كوردستان بعد قرار المحكمة الجنائية الدولية، أن هذه المسألة أعمق من المناقشات حول النفط وحده. بل هي جزء فقط من الصورة العامة للعلاقات بين أربيل وبغداد، المتشابكة مع قضايا أخرى مثل سياسة الحدود والتحالفات. تمثل هذه الرموز معًا مرحلة جديدة في العلاقات بين أربيل وبغداد، بحيث وصل إقليم كوردستان بالضبط بعد عقدين من حرب عام 2003 إلى نقطة تحول، ولم يصبح العراق الدولة الفيدرالية بالكامل التي توقعها الدستور. يبدو أن العراق يريد استغلال كل فرصة لتقليص الحدود السابقة لإقليم كوردستان، لكن من غير الواضح إلى أي مدى يريد الالتزام بالمبادئ الفيدرالية التي تقوم عليها الدولة الجديدة. بشكل عام، في العديد من الدول مثل الصين إلى إسبانيا وإسرائيل والعراق، هناك اتجاه للحد من قوة المناطق المتمتعة بالحكم الذاتي والفيدرالية ، لكن الوضع العالمي الحالي لا يبدو مناسبًا لذلك.

يعد الدعم الكوردي لحكومة السوداني أمرًا حاسمًا في الوقت الحالي ، حيث يتزايد قلق السنة بشأن عدم تنفيذ الوعود التي قُطعت قبل تشكيل الحكومة ، وإمكانية اندلاع صراع داخلي بين الشيعة أمر مثير للقلق. بالإضافة إلى ذلك ، يمكن للعلاقات الكوردية مع العالم الخارجي ، وخاصة الغرب ، أن تساعد حكومته في بعض الأحيان. يعرف السوداني أن العديد من دول العالم ، حتى لو لم تدعم استقلال كوردستان ، لكنها تريد بقاء كيان إقليم كوردستان ، على الأقل كعمل متوازن في سياساتها تجاه العراق. هذا صحيح حتى بالنسبة لإيران. كانت إيران تضايق إقليم كوردستان على مدار العام الماضي لأسباب تتعلق بأمن الحدود ، ووقعت مؤخرًا اتفاقية مع العراق لحماية الحدود. من بين 911 كم من الحدود المشتركة بين الجانبين ، تقع حوالي 40 كم فقط من المنطقة الشمالية في منطقة سوران تحت سيطرة القوات القريبة من إيران أو المتحالفة معها ، وتعتبر طهران هذه المنطقة تهديدًا لها. بالطبع قد يكون هذا أكثر من "تهديد حقيقي" للوضع العام في إيران ورؤية طهران لمستقبل المنطقة. لكن منذ عهد الشاه الإيراني ، شكل وجود سلطة مركزية قوية في بغداد تهديدًا خطيرًا لطهران.إذا أصبح الشيعة العراقيون ، الذين كانوا تاريخيًا مركز العالم الشيعي ولديهم المزيد من الفرص اقتصاديًا وفي العلاقات مع العالم الخارجي ، أقوى ، فلن يضطروا إلى طاعة طهران كما اعتادوا. لذلك ، من مصلحة طهران في نهاية المطاف إحياء القضية الكوردية والسنية في العراق.

نقطة أخرى هي أنه إذا تم حل قضية الطاقة في إقليم كوردستان بقوة القانون والقوة، فسيتعين على رئيس الوزراء العراقي الانتباه إلى الأخبار والمناقشات حول تهريب النفط في الجنوب وأجزاء أخرى من العراق. وقد يعرضه ذلك لمشكلة جديدة مع بعض العصابات المسلحة، وهو أمر ليس مستعدًا له في وقت لا تكون فيه الحكومة مستقرة تمامًا. وقد استخدمت بغداد بعض المواد الدستورية مثل المادة 130 التي تسمح بتطبيق القوانين السابقة التي لم يتم إلغاؤها أو تعديلها، للتعامل مع قضية النفط في إقليم كوردستان. يعتمد إقليم كوردستان على مواد دستورية أخرى (مثل 112، 113، 115) لوصف حقوقه فيما يتعلق بالنفط والغاز. ومن الواضح أنه مهما كانت المبررات القانونية فإن العامل الحاسم هنا هو درجة قوة الأطراف. لا يبدو أن تعليق إمدادات النفط عن إقليم كوردستان أو احتمال حدوث توترات جديدة بين أربيل وبغداد بشأن النفط في مصلحة الولايات المتحدة وروسيا وتركيا وأوروبا. ويجب مراعاة الوضع الراهن في العراق وإقليم كوردستان. بصرف النظر عن الحل المربح للجانبين، لا يوجد حل مستدام آخر لأزمة وقف تصدير النفط من إقليم كوردستان على الأقل في هذا الوقت.